: : رؤوس أقلام عن منهج القاضي عياض في إكمال المعلم : :

ملخصًا من موضوع منشور في شبكة السنة وعلومه مع بعض التصرفات والزيادات

- **اسم الكتاب كما جاء في ديباجة مؤلفه: (إكمال المعلم بفوائد مسلم).**

- **يعد إكمال المعلم واحدًا من كتب الدراية الفريدة التي سارت بها الركبان، كما شهد بذلك أئمة هذا الشأن.**

- **يقول في السبب الباعث على شرحه:**

(فإني عند اجتماع طلبة العلم لدي في التفقه في صحيح الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج، والوقوف على معاني أخباره... ولم يكن في ذلك كتابٌ مختصٌّ بهذه الأمور، ولا تأليف اعتنى به كالاعتناء بغيره ممن تقدم إلا كتاب شيخنا الحافظ أبي علي الحسين بن مُحَمَّد الغسّاني الجيّاني [=تقييد المهمل]، وكتاب الإمام أبي عبد الله مُحَمَّد بن علي بن إبراهيم المازري التميمي [=المعلم بفوائد مسلم]، وكلا الكتابين نهاية في فنّه،... لكن الإحاطة على البشر ممتنعة،... وكثيرًا ما وقفنا في الكتاب المذكور [=المعلم] على أحاديث مشكلة لم يقع لها هناك تفسير... وعند الوقوف على ما أودعناه هذا التعليق وضمّناه الكتاب الآخر الذي بين أيدينا [=مشارق الأنوار] = تقف على مقدار ما أشرنا إليه، وكثرة ما أغفل في الكتابين من الفنّين عليه.

ثم تردَّدْتُ في عمله، ورأيت أن إفراد كتابٍ لذلك يقطع عن الكتاب المعلم وما ضمَّنه = غير موف بالغرض؛ وإن تأليف كتابٍ جامعٍ لشرحه لا معنَى له؛ مع ما قد تقرَّر في المعلم من فوائد جمَّة لا تُضاهى... فاستتبَّ الرأيُ بعد استخارة الله تعالى وسلوك سبيل العدل والإنصاف = أن يكون ما أذكر من ذلك كالتذييل لتمامه والصلة لإكمال كلامه). انتهى.

- **طريقته ومنهجه كما نص على ذلك في مقدمته:**

١- فنبدأ بما قاله [يعني: المازري].

٢- نضيف إليه ما استتب وتوالى.

٣- فإذا جاءت الزيادة: فصّلناها بالإضافة إلى أن ننتهي منها.

٤- ثم عطفنا على سوق ما يليه من قوله، ويتطارد الكلام بيننا نُوَبًا.

٥- وكان في (المعلم) تقديم وتأخير عن ترتيب كتاب مسلم: فسقناه مساق الأصل، ونظمنا فصوله على الولاء فصلًا بعد فصل.

٦- تحرّيتُ فيه بجهدي الصواب، وأودعته من الغرائب والعجائب، ومن الحقائق والدقائق.

٧- تركنا كثيرًا مما تعلّق بعلم الإسناد مما لم يذكره الشيخ الحافظ أبو عليّ [في تقييد المهمل]، أو ذكره ولم يذكره الإمام أبو عبد الله [صاحب المعلم]؛ إذ غالب ما ذكره في هذا الباب مما في كتاب الحافظ أبي عليّ، ولم نتتبّعه لاستقصائه في الكتاب الآخر [يعني مشارق الأنوار].

٨- ذكرنا من العلل طرفًا مما لم يقع في كتاب الحافظ أبي عليّ، مما هو على شرطه، أو تركه عن غير قصد مما ذكره الإمام أبو عليّ الحسن الدارقطني في كتابه المسمى بـ(التتبع والاستدراكات على البخاري ومسلم).

٩- لولا ذكرُ الإمام أبي عبد الله لأطراف مما ذكره الحافظ أبو عليّ من ذلك = لتركنا الكلام على هذا الفنّ في هذا التعليق جملةً؛ إذ هو بابٌ واسعٌ.

- **ما ذا فعل بعد المقدمة وما جاء فيها من بيان ؟**

١- ذكر أسانيده إلى صحيح الإمام مسلم.

٢- ثم ذكر مقصد الإمام مسلم من جمعه الصحيح.

٣- ثم بدأ في شرح المقدمة التي قدّم بها مسلم لكتابه الصحيح.

٤- ثم بدأ في شرح الكتب مرتبةً، على ما بينه من منهجٍ صرَّح به في مقدمة كتابه.

- **موازنة خفيفة بين المعلم للمازري، وإكماله لعياض** (مستفادة من دراسة د. حسين شواط):

١- يفصّل كثيرًا مما أجمله المازري من مذاهب العلماء.

٢- الأصل في عمله أن يأتي كلامه بعد كلام المازري في الحديث، إلا أنه كان أحيانًا يفسّر ما جاء في الحديث أولًا، ثم ينقل كلام المازري -وهذا إذا كان التفسير قليلًا-.

٣- ما تركه المازري من أجزاء في الحديث بغير تعليقٍ أو شرحٍ = فإن القاضي عياض يبدأ به.

٤- يترك الكلام على الحديث إذا لم يكن عنده ما يضيفه إلى كلام المازري.

٥- حيث يسوق شاهدًا لمعنى = فإنه يتولّى غالبًا بيان المراد من بقيّته.

٦- يرجّح بين الروايتين الصحيحتين بمقتضى السياق اللغوي.

٧- يستفيد من النسخ المغايرة لنسخة مسلم المعتمدة لديه؛ لبيان سبب الحديث وكشف عباراته.

٨- في تحقيقه لدقائق المسائل؛ فإنه لا يكتفي فيها ببيان نظره فيها، بل يعرضها على أهل التحقيق من شيوخه، ولهذا كثيرًا ما نراه يردد أن هذا مستفاد من متقني شيوخنا.

٩- إذا كثر الاختلاف في أصل الاشتقاق للمصطلح الشرعي، استعان على تصويب ما يختار بسير القدامى، ومطالعة الآثار القريبة المعنى بها، مع استقراء كلام العرب وأشعارها فيه.

١٠- يميل كثيرًا إلى الاختصار في عرض المسائل الفقهية المتصلة بالحديث.

١١- مراعاة الدقة في وصف حالة التحمل.

١٢- إذا نقل عن أحد من الأئمة قولًا في مسألةٍ [يكون المعنى فيه محتمل لغيره] = أورد المعاني المحتملة بصيغة غير ملزمة.

١٣- أن القاضي عياض شديد العناية ببنية الكلمة وسلامة معناها.

١٤- يعزو القول إلى قائله، سواء في السند أو المتن.

١٥- شديد العناية بضبط المختلف فيه من رجال السّند.

١٦- يلزم دائمًا الاعتدال عند تناول القضايا العلمية إذا كانت بعيدة عن المباحث المذهبية، وما عدا ذلك فهو شديد الميل للانتصاف لمذهب مالك، وإن انتقد عليه أحيانًا وانتصر لغيره.

١٧- إذا عرض له ما يستوجب التصحيح في السند = عجّل بالتنبيه عليه قبل الفراغ من الحديث في المتن.

١٨- لا يمنعه إجلاله للمازري من أن يعقّب ويستدرك عليه ويصحح له ما وقع في كلامه من أوهام وأخطاء.

١٩- حيث يُقدِّم (المعلم) الحديث عن السند في الشرح والبيان، فإن (الإكمال) يؤخره.

٢٠- حرص على ترتيب مسائل (المعلم) وفق ترتيب الصحيح لمسلم، فتراه يقول حين يجد المازري قدّم حديثًا في التعرّض له عن غيره: (وليس هذا بموضعه).

٢١- يعمد إلى إسناد المعاني المستنبطة إلى أول قائل لها.

* * * *